الباب الحادى والعشرون

كفاح الإسكيا محمد كاغ

ثم رجع الجيش إلى عند الإسكيا محمد كاغ وتمَّ له البيعة ، ثم بعث فى إطلاق أخويه فارمنذ ، وبنتل فرم نوح ابنى إسكيا داود قد سجنهما أخوهما إسكيا محمد بان فى أرض دَنْد فشرع إخوتهم من أولاد إسكيا داود يهربون إليهم فأول من هرب منهم دعى فرم المعزول سليمان بن داود إسكيا . فأتى الباشا محمود فقبله وخاف من ذلك إسكيا محمد كاغ فبعث له فى طلب ذلك البيعة للسلطان مولاى أحمد . وكاتبهم بكر لنبار هو الذى بعثه إليهم فأنعم عليه .

(إنقاذ الإسكيا محمد كاغ لجيش المغاربة من المجاعة)

ثم إن المجاعة دخلت فى محلته حتى أكلوا دوابهم ، فبعث لإسكيا محمد كاغ أن يُغيثهم بالطعام أينما كان ، فأمر بحصاد ما صلح هنالك من الزروع فى جهة حوص وهى الذرة البيضاء فبعثه لهم .

(خيانة الباشا محمود للإسكيا محمد كاغ)

ثم إن الباشا محمود بعث له أن يأتى عنده لأخذ البيعة ، فعزم على ذلك . ونهاه عنه أصحاب الرأى من قومه منهم هيكى له فقال : لا أمنهم أنا ، وإن عزمت على المجىء إليهم ولا بد أجعل ذلك وحداناً وحداناً [1] إنْ شئتم سبقتكم إليه وحدى ، فإن قتلونى لا يضركم بشيء أكون لكم فداء ، وإنْ نجوت يسير بعثة الجماعة كذلك حتى تسير أنت آخرهم ولا يقدرون إذاً أنْ يمسوكم بسوء ، لأن ذلك لا ينفعهم بشيء ، فلم يصوب الرأى الكاتب بكر لنبار المذكور فساروا إليهم جميعاً .

فلما قربوهم بعث إسكيا محمد كاغ منْ يستأذن لهم ، فبعث الباشا محمود نحو أربعين رجلاً من أعيان الجيش وكبرائهم للقائهم بلا عُدة ولا سلاح ، فأشار إليه هيكى بقتلهم ، فقال هؤلاء الأعيان : إنْ أفنيناهم لم يبقَ منهم منْ له شوكة فهيأ إسكيا محمد كاغ لذلك .

---

(١) وحداناً : المقصود بها مفردًا .

فلما رآه الكاتب المذكور[١] حلف لإسكيا إنه ليس عند الباشا محمود إلا الأمان التام بعهد الله وميثاقه فسمع له ذلك ، وعمل عليه ، فلما دنوْا منه سلَّموا عليه وبلغوا له سلام الباشا محمود ، وأنه يرحب بهم .

فتقدموا قدام (أمام) الإسكيا وأصحابه ، وقد أحضر لهم شبائك الخداع والغدر وأحضر لهم المآكل الطيبات ، فلما شرعوا فى الأكل قبضوه ومنْ دخل معه عند الباشا فى القباء[٢] وجردوهم من أسلحتهم . ولما فطن منْ كان وراء الأقبية من أهل سغى هربوا ومن قدّر الله تعالى سلامته سلم ، بلغ المأمن عند أصحابه ، ومن وفى أجله قتلَ بالرصاص وبالسيف .

(الناجُون من مذبحة الباشا محمود)

وممَّنْ سلم ساعتئذ عمركت بن كرمن فارى محمد بنكن بن الأمير إسكيا داوود طلع على حصان إسكيا محمد كاغ فهرب ونجا بقدرة الله تعالى بعد ما رموه بالرصاص كثيراً . وهارون دنكتيا بن الأمير إسكيا داود هرب ونجا . وجرح اثنى عشر نفراً بالسيف فرمى نفسه فى البحر[٣] وقطعه بالعوم . ومحمد سرك أجى بن الأمير إسكيا داود وغيرهم .

(قتل الإسكيا محمد كاغ)

أما الإسكيا محمد كاغ فقيِّد فى الحديد ، وقيِّد معه ثمانية عشر رجلاً من رؤسائه منهم هيكى لَهَ ، وفار منذ سن بن الأمير إسكيا داوود ، ودندفارى المختار وكومكى وغيرهم فبعثهم إلى كاغ عند القائد حم بركة ، وقد خلفه على ذلك البلد وأمر سجنهم فى بيت فى دار سلطنتهم ، ثم بعث بعد ذلك أمره بقتلهم وطيح[٤] عليهم ذلك البيت ، فكان قبرهم إلا هيكى لَهَ وحده ، فلما دخلوا المدينة امتنع لهم من الذهاب استعجالاً للموت فقتلَ هنالك وصُلبَ .

وأما على تند ، ومحمود فراراجى ابنا الأمير إسكيا داوود ، فوصلا فى هروبهما كاغ ، فأتيا الخطيب محمود درامى فسلَّما عليه ، فسألهما عن سبب مجيئهما ، فقالا :

---

(١) كان للجالية المغربية فى سنغاى دور مشبوه فى التمهيد للغزو المراكشى ، حيث تنكروا لمن كان صاحب الفضل عليهم .

(٢) قباء : خيمة القائد

(٣) البحر : نهر النيجر .

(٤) طيح : أى هُدم على رؤوسهم .

الدخول فى طاعة الباشا محمود فأنكره عليهما ، وأمرهما بالرجوع إلى عند إخوتهما وقومهما وقالا : إنْ كان والدهما حياً لا يتبعون رأيه فأجرى غيره . وأتيا القائد حم بركه وأخبراه بذلك ، فكتب للباشا محمود خبرهما وأمره بثقافهما [١] ، فلما قبض إسكيا محمد كاغ بعث له فى قتلهما فقتلهما .

وأما سليمان بن الأمير إسكيا داود فقيَّدوه مع المقبوضين ، ثم كلَّمه أهل الرأى فسرحه وبقى عندهم مع أناس قلال منهم باركى ملك ، ومحمد ولد بنش ، ومحمد ولد موركى أمه بنت الأمير إسكيا داود ، وأما محمد ولد بنش وهى اسم أمه من نسل عمر كمزاغ ، وأما أبوه فهو محمد بن ماسوس بن بلمع [٢] محمد كرى وغيرهم .

وأكرم الباشا محمود سليمان غاية الإكرام حتى جعله إسكيا عليهم . وجملة ما قبض الباشا محمود مع إسكيا محمد كاغ ثلاثة وثمانون رجلاً ما بين أولاد الأمراء وغيرهم والمحلة فى تشن يومئذ دهم اسم موضع فى قرب بلد كوكيا . وقيل : إن الأمير إسكيا الحاج محمد بن أبى بكر لما غلب على سن على وتولى السلطنة قبض من أولادهم وخدامهم مثل هذه العدة [٣] فى هذا الموضع بعهد الله فى الأمان .

ثم إن الله تعالى القوى ، القادر اقتصَّ منه كذلك جزاء وفاقًا . وقيل : إن إسكيا محمد كاغ ما استأخر فى الدنيا بعد وفاة إسكيا إسحاق إلا أربعين يوماً فاجتمعوا فى الآخرة . سبحان الحى الدائم الذى لا زوالَ لملكه ولا نهاية لديمومته .

(تولية إسكيا نوح)

وحين بعث محمد كاغ فى إطلاق أخويه المسجونين فارمنذ المصطفى وبنتل فرم نوح ، وهو أصغرهما سناً ، ونوح أصغر من المصطفى سناً فرحا فرحًا شديدًا ، وعزما متى وصلا إليه لكرمان شأنه حتى يمشيا قدامه حتى ركب فى نعليهما

---

(١) ثقافهما : أى طلب البحث عنهما .

(٢) بلمع : منصب أمين عام السلطنة .

(٣) مثل هذه العدة : مثل هذا العدد .

فتلقيا فى الطريق خبر هذه المصيبة ، وهى قبضته مع جماعة فولَّيَا [١] راجعين إلى أرض دند واجتمع عليهما جميع مَنْ كان أهل سغى واتفقوا مع نوح أن يولوا أمرهم فارى منذ المصطفى ليكون إسكيا عليهم فقال لهم نوح : أفضل وأبرك ، والبركة حيثما جعلها الله تكون ، لا تختص بالكبر ولا بالصِّغر فبايعوه .

فكلُّ مَنْ توجَّه إلى جهة أخرى من الهاربين ولوْا إليه جميعاً ، وبقى لا يتمنى إلا محمد مور ، ومحمد ولد بنش وهما ما زالا عند الباشا محمود حتى فرَّج الله عنهما فهربا إليه ، وهرب باركى ملك ففرح بهم إسكيا نوح فرحًا شديدًا ، وشكر الله تعالى على وصولهما لديه سالمين ، فقال : لم يبقَ لى المنى حيث اتصل بنا هذان الرجلان .

فجعل الباشا محمود سليمان إسكيا على [٢] من بقى معهم من أهل سغى ، وتحدَّث الناسُ أن الكاتب بكر لنبار هو الذى غدر محمد كاغ وأصحابه ، وباعهم للباشا محمود حتى تمكن منهم ، فقال لبعض أصحابه فى تنبكت لما سكن فيه بعد جميع الوقائع هذا الذى نسب إلى من الغدرة ، فوالله العظيم ما كان وما أخبرت محمد كاغ إلا بما يعلم الله فى من النصح اتكالاً وثقة على ما حلف لى محمود فى ذلك وما غدر إلا هو فغدرنى وما غدر محمد كاغ والميعاد بيننا جميعًا غدًا بين يدى الله تعالى .

(محاربة الإسكيا نوح للمراكشيين)

ثم إن الباشا محمود جهز جيشه فتبع إسكيا نوح إلى أرض دند فوصل معه موصلاً فى ذلك حتى أن أهل الأرض كنت يسمع أصوات مدافعهم للمقاتلة بينهم فى يوم واحد ، وسكن نوح فى أصحابه فى أول الحال بلد كعراو آخر بلاد ذلك الأرض ملى [٣] إلى حد أرض كنت . ولم يزل الباشا محمود يتبعه بالغزو حتى بنى قصبة [٤] فى بلد كلن وأسكن فيها مائتي رامٍ وأمَّر عليهم الفتى القائد عمار ، ومكث فى تلك الناحية عامين كاملين غازياً .

---

(١) فوليا : فرجعا .

(٢) أى : أن سلطنة سنغاى انقسمت إلى مملكتين مملكة يحكمها إسكيا نوح ، والأخرى يحكمها إسكيا سليمان .

(٣) ملى : المقصود بها أرض سلطنة مالى التى كانت تشمل معظم أراض غرب إفريقيا .

(٤) قصبة : معناها قلعة .

وجرتْ بينهما وقائع كثيرة شداد ، وكان يتبع نوحًا فى يوم واحد حتى وصل مع جيشه بطحاء واسعة كثيرة جداً وهم يسيرون فى الطريق ، فانتهوا إلى غابة عظيمة كثيفة ، والطريق نافذ فى تلك الغابة فقبض الكاهية باحسن فريد عنان فرسه واقفاً وهو قسيس[1] حكيم ، فبعث إليه الباشا محمود إيش هذا الوقوف ؟ وهو يغضب ويصيح ويلومه بالجبن والرعب .

فلما دنا إليه قال له : والله إنّى لو علمت شعرة واحدة فى جسدى بالخوف والرعب لنتفتُها منها ، ولكن لا أقتحم بجيش مولانا السلطان نصره الله خطرًا وغرارًا . وأمر أن يرموا الغابة بالدرباش[2]

فلما رموْها جعل الرجال يخرجون منها هاربين ، ومات منهم كثير بالرصاص وإسكيا نوح هو الذى كمنهم[3] فيها ، حيث علم أنه لا شرع لهم غير ذلك الطريق ليفتكوا بهم غيلة فنجاهم الله تعالى من كيده وخديعته بسبب فراسة الكاهية[4] باحسن فريد المذكور فولجوا الغابة حينئذ وجازوها بالسلامة ، وكانت بينهما فى تلك الأرض معارك هائلة كثيرة .

ونال منهم إسكيا نوح مع قلة أتباعه ما لم ينل منهم إسحاق مع كثرة أتباعه ولو بعشر العشر ، ومات من أصحاب الباشا محمود يوم توفى ثمانون رجلاً من خيار أرباب الرجل .

وحدَّثنى منْ أثق به أن محمودًا جاء يطالع على الموتى بعدما تفارقوا فأمر بحل حزامهم التى تحت بطونهم فأخرجت دنانير مطبوعات فى حزامهم أجمعين . ورفع الباشا محمود الجميع لنفسه وقد تضرروا من طول ذلك المكث فى تلك الأرض تضررًا فادحًا عظيمًا من كثرة التعب ، وامتداد الجوع والمرض من وخم الأرض ، وضرب ماؤه كروشهم وأجراها ، ومات منهم من غير موت المقاتلة[5] .

فأول الحال إسكيا نوح هو الذى يقود جيشه للقتال ، وفى آخر الحال ولاه لمحمد ولد بنش فكان نصر القتال على رأسه ، وله فى ذلك أخبار مشهورة وحكايات كثيرة،

---

(١) قسيس بمعنى : رجل حكيم ، وليس كما يتبادر إلى الذهن رجل الدين المسيحى .

(٢) الدرباش : المدفعية .

(٣) كمنهم : أى نصب لهم كميناً .

(٤) كاهية : قائد مجموعة صغيرة من الجنود .

(٥) موت المقاتلة : المقصود به الموت أثناء الحرب .

ولما طالتْ المشقة على الباشا فى تلك الناحية كتب للأمير مولاى أحمد مشتكياً بما ناالهم من مقاسات [١] الشدائد . وإن جمع خيلهم ماتوا فصرف نحو ست محلات واحدة بعد واحدة ، التحم الجميع بهم فى تلك الجهات فهم محلة القائد على الراشدى. ومنهم محلة القواد الثلاثة القائد بن دهمان ، والقائد عبد العزيز بن عمر ، والقائد على بن عبد الله التلمسانى . ومنهم محلة القائد على المشماش وغيرهم ، وبعد ذلك كله رجع تنبكت وما ظفر بالمراد من نوح .

(الفتنة بين أهل تنبكت والقائد المصطفى التركى)

ولنرجع إلى تمام الكلام فى الفتنة التى حدثت بين أهل تنبكت وبين القائد المصطفى التركى بعد موت تنبكت منذ [٢] يحى ، فقد كثرت الجراحات فى الناس من الرماة اشتكى الأعيان بذلك لدى الفقيه القاضى أبى حفص عمر بن ولى الله تعالى الفقيه أبى البركات القاضى محمود بن عمر فشاور أصحاب الرأى فى ذلك ، فمنهم منْ أشار إلى دفعهم بالقتال إنْ أدتْ الحاجة إلى ذلك . ومنهم منْ أشار إلى الكف والإمساك وضررهم لا يزداد إلا كثرة .

بعث القاضى عمر (أَمَر) خديم الشرع وهو من أفسق الناس فى وقته ، ولا علم عند القاضى عمر به إلى شيخ المولدين [٣] عمر الشريف سبط الشريف أحمد الصقلى بليل أنْ يبرح ساعتئذ أن لا يفرط الناس فى أرواحهم ويأخذوا الحذر من هؤلاء الناس فبدل قوله ، وقال : يأمركم القاضى بالقيام بالجهاد فيهم فبرح بذلك فى تلك الليلة .

وأصبح الناس متحزمين للقتال مع القائد المصطفى [٤] .

فابتدأ فى أول المحرم الحرام فاتح عام مكمل الألف ، واستمر إلى أوائل الربيع الأول ، فمات بينهم فى أولئك الأيام من قدر الله تعالى أجله فيها . فمنهم ولد كزنفل الذى تسبب فى مجيء محلة [٥] جودار وجاء معه فى تلك المحلة وبقى فى تنبكت مع القائد المصطفى ، فقتله أهل تنبكت فى ذلك القتال .

---

(١) مقاسات : مواجهة المتاعب .
(٢) تنبكت : حاكم تنبكت .
(٣) المولدين : المختلطين نتيجة تزاوج المغاربة مع الأفارقة .
(٤) المقصود قتال القائد المصطفى ، وليس القتال بجواره .
(٥) محلة : حملة عسكرية .

فجاء (أوسنب) التاركى مفشرن كى [١] لمعاونة المصطفى مع أصحابه فحرقوا جميع البلد بالنار ، وذلك فى يوم الجمعة الرابع عشر من ذلك الشهر ، ثم عاد بذلك غدًا ، فكان يوماً شديدًا على أهل تنبكت .

وقاربوا ديار القاضى عمر بالحريق ، فجاءت واحدة من بناتهم تعدو ، فقالت له : وصل (أوسنب) بغزوه إلى باب دار الفع [٢] عبد وهو أخوه الفقيه عبد الله بن الفقيه القاضى محمود ، فقال لها : الله تعالى يعطيه غزوًا فى باب داره ويسلط عليه أدنى الناس يفتضح به كما افتضح بنا .

فاستجاب الله دعاءه فجاءتْ غزوة توارق كلمينى إلى باب خيمته ، فدخل عليه واحد منهم فقتله فى داخل الخيمة وهو أدناهم ، وذلك فى يوم الأحد الثانى والعشرين من شوال عام خمسة بعد الألف وهو نشأ فى ديارهم ، وقرأ عليهم وكبَّر عندهم حتى كان واحداً من أولادهم ، ثم صار إلى ما صار إليه من الغدرة والخيانة والعياذ بالله من النفاق وسُوء الخاتمة .

وكانت وقعة الجامع الكبير يوم الخميس الرابع من صفر الخير ، وخرج الناسُ لكسر الديار ليلة الأربعاء الرابعة والعشرين من الشهر المذكور ، وجاء بارى شيغ يوم الجمعة السادس والعشرين منها فى أمر المال الذى اصطلح عليها إسكيا مع جودار ، وخرج من أمزاغ إلى تنبهون يوم الخميس التاسع من الربيع النبوى .

وبلغ الباشا محمود خبر ما جرى بين أهل تنبكت وبين القائد المصطفى من القتال، وأنهم حاصروه مع أصحابه فى القصبة أرسل بذلك القائد المصطفى مع مالك والد محمد در ، فبعث القائد مامى بن برون فى ثلاثمائة وأربعة وعشرين راميًا . اثنان من كل قباء ولا علم عند أحد منهم بذلك حتى وصل تنبكت فأمر أن يجعل السبيل فى أهله ، وأنْ يقتلهم عن آخرهم .

---

(١) مفشرن كى : حاكم طوارق مفشرن .

(٢) الفع : الفقيه .

وهو رجل عاقل ، لبيب ، قسيس فوصلوها ليلة ثانى عشر من ربيع الأول ليلة الولادة [١] . فكان خوفٌ عظيمٌ فى البلد ، وخرج كثير من الناس رامين أنفسهم فى الصحارى والقفار .

فأصبح القائد مامى ما بين القائد المصطفى وأهل تنبكت ، فكان فرحٌ عظيمٌ للناس ورجع للبلد كل منْ خرج منها هاربًا ، ورجع رئيس المرسى منذ الفع ولد زرك بجميع القوارب ودخلوا فى بيعة السلطان مولاى أحمد بسبب هذا الصلح ، وفتح الطريق إلى الآفاق ودخل الناس فى حوائجهم ، ومنْ أراد السفر إلى جنى وإلى غيره مشى إليه .

ثم إن القائد مامى تحرك إلى الزغرانيين أهل (يرو) فغار عليهم ، وقتل رجالهم وأتى بنسائهم وصبيانهم إلى تنبكت وباعوهم بمائتي ودع [٢] إلى أربعمائة ودعًا ، ثم بعث القائد المصطفى شاوش واحدًا إلى جنى فى قارب زنك درج لأخذ البيعة من أهله ووافق بوفاة جنكى ويبعلى ، فقام بها جنى منذ بكرن وهو حاكم إسكيا على البلد . والقاضى بنب كناتى ، وشم وتاكر قائدان من قياد جنكى ، وأعيان البلد من الفقهاء ، والتجار .

فكتبوا بقبول تلك البيعة للقائد المصطفى ، وللقائد مامى ، ثم بعثا الرائس عبد المالك وسبعة عشر راميًا لتولية جنكى ، فجعلوا إسماعيل بن محمد جنكى ومكث فى السلطنة سبعة أشهر فمات . ومكَّنهم الله تعالى من الخاسر الأبعد (بنكون كند) وهو من المفسدين فى الأرض حينئذ ، فأتى إليهم فقتلوه فى دار جنكى ، ورجعوا لتنبكت .

وأما ويبعلى المذكور فاسمه أبو بكر بن محمد مكث فى السلطنة ستاً وثلاثين سنة وتزوج (كاس) ابنة الأمير إسكيا داوود فكانت فى عصمته إلى أنْ توفى .

ثم جاء القائد مامى بنفسه إلى جنى ، ونزل فى دار جنكى ، وولى عبد الله بن عثمان سلطنة جنى ، وأصلح من أمور البلد ما أصلح ، فرجع لتنبكت وتلقى [٣] فى ذهابه إلى جنى مع الحاج بكر بن عبد الله كرى السناوى ذاهباً إلى تنبكت فى طلب عزل القاضى محمد بنب كناتى مع اتفاق أعيان مدينة جنى عند القاضى عمر .

---

(١) المقصود بليلة ميلاد النبى ﷺ .

(٢) الودع : هو وحدة التعامل فى سلطنة سنغاى .

(٣) وتلقى : قابله .

فنهاه عنه القاضى عمر أشد النهى فرجع إلى جنى ، وأدرك القائد مامى فاشتكوا منه به عنده وادعوا عليه الجور فعزله مامى المذكور وجعلوه فى بيت وسدُّوا بابه إلا كوة التى يمدون له الماء والطعام منها تعذيبًا له ، والذين يعرفون حقيقة الأمر يومئذ فى ذلك البلد من أهل العقول ، قالوا : إن تلك الدعوى باطلة .

وولى القضاء القائد مامى واحدًا من أهل الغرب [١] اسمه أحمد الفلالى ، فبعد ما رجع لتنبكت جاء باغن فارى بكر بن إسكيا محمد بنكن من أرض كَلَ إلى جنى ومعه ابنه ماربا ، وابن أخيه شيثى وبندك ياد ولد كرسل ودررمنذ فى أناس قليل فنزلوا فى قبالة باب زُبَرْ والماء تحت القصر [٢] يومئذ ، فاستأذنوا أهل البلد فى الدخول فيه . فلم يقبل جنكى وجنى منذ ، وخافوا أن يحركوا عليهم الفتنة فألحوا فى طلب الدخول ، فذكروا أنهم ما جاؤوا إلا لأجل الدخول فى بيعة الأمير مولاى أحمد .

فبعث لهم أهل جنى حبيب ترق بالمصحف ، وصحيح البخارى أن يحلفوا بهما أنهم ما جاءوا إلا لذلك فحلفوا عليه ودخلوا ، فلما باتوا فى البلد أول الليلة اجتمع عليهم السفهاء فبدَّلوا قولهم وتعاقدوا معهم على الرجوع إلى بيعة إسكيا سُمّى منهم محمد ولد بنياتى ، وسرسكر ، وكنكن دنتور . فبعد يومين أو ثلاثة أيام قبضوا جنى منذ بكرن وأكلوا ما فى داره من الأموال ، وقبضوا القاضى المغربى وحددوهما وبعثوا بهما إلى مدينة بلد من بلاد وأرض كَلَ ، وخربوا البيت الذى فيه الفقيه القاضى محمد بنب وأخرجوه وأمروه أن يمضى إلى أين أحب من البلاد ، فمضى إلى عند سلطان تعب ، ومكث هنالك إلى أنْ توفى رحمه الله تعالى ، وعفا عنه بمنِّه وكرمه .

وقيل : ليس له شغل فى ذلك السجن إلا تلاوة كتاب الله تعالى آناء الليل ، وأطراف النهار فظهرت له كرامة يوم خروجه منه ، لأنه ما رُئى فى ذلك البيت أثر قضاء الحاجة لا من بول ، ولا من غائط وولوا القضاء يومئذ مور موسى داب .

فانتبه أهل المخزن [٣] بعد فرارهم ثم عزموا على قبض أحباب أهل المخزن من التجار ، وأكل أموالهم ، فسجنوا منهم حام سن سكر السناوى ، وذكروا أنه الأعظم الأكبر عندهم ، فعزموا على ذلك ليلة عند السحر فى دارهم .

---

(١) أهل الغرب : أى من بلاد المغرب (مراكش) .

(٢) الماء تحت القصر : المقصود به فترة فيضان نهر النيجر .

(٣) المخزن : كلمة مغربية تُطلق على القصر الملكى ، وتستخدم مجازًا على مُوظفى القصر .

فلما خرج محمد ولد بنياتى ، وسرسكر من عندهم طرقوا فج مابى جارية حام المذكور وأخبروها سرًا بذلك ، وأمروها أنْ تخبره به ، فأخبرته به ، وأخبر هو أخاه الحاج بكر به فاحتال فى الزوبرقة ، وخرج بالليل خُفية متوجهاً إلى تنبكت هاربًا وفى غد انكشف خبره ، فبعث باغى فارى أناسه فى أثره فى قارب . فنف يامعى فير ليردوه إليه ، فنادى الحاج بكر الفنف المذكور فى داره ، وأعطاه مالاً ليلاً يتعجل فى المسير حتى يصل أخوه المامن ، فأنعم له ، فلما قاربوا بلد ونزع على شوقة رأى قاربهم حام المذكور وهو راسٍ . ثم ساعتئذ دفع بعجلة واجتهد فى المسير .

فلما وصلوا هنالكَ سألوا عنه فأخبرهم واحد تنبكتى قد عامله حام بخير كثير حينئذ أن قاربه دفع هنا فى هذه الساعة إن جزتم لوصلتموه بقرب فسمع بذلك ، ونزع مور وآتاهم فقال لهم ارجعوا لأن الرماة سمعوا بخبركم فاستأخروا فى بلد (كنا) ينتظرونكم ليقتلوكم . وأخبروا باغن فارى أنا الذى أمرتكم بالرجوع فرجعوا، وكفاه الله تعالى شرهم بسبب ونزع مور المذكور الذى أراد ذلك التنبكتى أن يصيبه ذلك .

(ثورة جنى)

ففعلوا فى جنى أولئك الأيام ما فعلوا من الفساد والطغيان ، حتى أن الجمعة الواحدة وقت الظهر حيث اجتمع الناس فجاؤوا على خيلهم فى الجامع متحزمين ، وأسلحتهم فى أيديهم وحلفوا ألا يصلى الناس حتى يبايعوا إسكيا ، ويخطب الإمام باسمه على المنبر فقال لهم الأعيان : هذا محال لا يمكن ولا يجوز فى الشرع ، فلا يزدادون إلا تمرداً وعناداً إلى وقت اصفرار الشمس .

فقال لهم الأعيان : اصبروا حتى سمع ما جرى بين الباشا محمود وبين إسكيا لعله يغلبه ويرجع الأمر إلى أصله ، فحينئذ سكن شرُّهم وصلى الناس الجمعة .

وصلى حام تنبكت وأخبر القائد المصطفى بخبرهم ، فعزم على الحركة إليهم فى جنى نفسه . فقال له القائد مامى : اسكن فى قصبتك وأنا أكفيك ذلك فسار إليهم فى ثلاثمائة رام مختارين . فلما قاربوا البلد بعث لهم جنكى عبد الله صلح تافنى وتاكر أسن مان وهديته من الكور ، وأمرهم بالقدوم بعجلة فتبعهم سنقر كى بوب . وتلقاهم ماسنكى حمد أمنة فى جنى . وقيل : حبيب ولد محمد أنباب هو الذى كتب له على لسان القاضى عمران يسير مع القائد مامى حيثما سار ويكون له معيناً ناصحًا، ولذلك تلقاهم بنفسه بعجلة .

وسمع باغن فارى خبر هؤلاء المراسيل فجعل الحرس على أبواب السور يقبضونهم متى رجعوا ، فدخل صلح تافنى بباب شم أنزوم فكفاه الله شرَّ الحرس ولم يروه ، فدخل تاكر بباب السوق الكبير فقبضوه ، وسجنوه ليقتلوه ، فبكّر القائد مامى بالوصول فاشتغل باغن فارى وأصحابه بأنفسهم وبادروا بالخروج والهروب ونسوا تاكر . وهربوا إلى ناحية بلد تير . فترك القائد مامى أربعين رامياً على مدينة جنى وأمَّر عليهم على العجمى ، وحاز هو على حاله إليهم ومعه جنكى عبد الله بجيشه ووصلوهم فى بلد تير وتقاتلوا هنالك .

فرمى ماربا ولد باغن فارى قارب القائد مامى فى البحر وهو فيه بالحريش [١] فانشق من رأسه إلى مؤخره فخيطه القدافون [٢] فى ذلك البحر ، وعدلوه فى طرفة عين .

ثم بعد ذلك كله هزمهم وشتتوا شذر مذر ، وهرب باغى نارى وأولاده إلى بندك وانتهوا إلى بلد تارندكى فقبضهم وقتلهم ، وبعث برأس باغى نارى وبندك ياووور ومنذوكف ماربا إلى جنى ، فبعث أهل جنى الرؤوس إلى تنبكت عند القائد المصطفى ، وعلقوا الكفّ وراء القصر فى طريق دبر ، وبعث جنكى عبد الله عند أهل مدينة فى أمر جنى منذ بكرن ، والقاضى المغربى فردوا منذ بكرن لجنكى .

وأما القاضى فوجدوه الحال قد توفى هنالك رحمه الله تعالى ، ولما عزم (القائد مامى) على الخروج من تنبكت لهذا الغزو ، وأمر القائد المصطفى حام الذى جاءهم بالخبر أنْ يرجع معه فمشى بقاربين من الملح [٣] ، ووجده قد فزع فى جنى بالكلية فباعه ، وربح فيه ربحاً كثيراً . ثم رجع القائد مامى لتنبكت وقد استقام الحال بحيث لم يبق فى تلك الناحية ما يُشوِّش البال ، والحمد لله الكبير المتعال ، وبقى على العجمى حاكمًا على مدينة جنى المحروسة ، وهو أول حاكم لأهل المخزن فيها [٤] .

---

(١) الحريش : نوع من السهام المسمومة .

(٢) القدافون : البحارة .

(٣) قارب ملح : أي محملاً بالملح ، لأن تجارة الملح كانت تجد رواجاً ، نظراً لندرته .

(٤) أهل المخزن : أى التابعين لسلطان مراكش .